***قضية الإيمان عند الجهمية***

***بحث فى : بقية الفرق المنتسبه للاسلام***

***إعداد / ميريهان مجدي محمود عبد المجيد***

***قسم الدعوة وأصول الدين***

***كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية***

***شاه علم - ماليزيا***

***mirihan@mediu.ws***

**خلاصة هذا البحث فى : قضية الإيمان عند الجهمية**

**الكلمات الافتتاحيه : الايمان، قضيه، الجبريه**

* **.*المقدمة***

 **الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة قضية الإيمان عند الجهمية**

* ***.عنوان المقالة***

الرد على ما ذهبت إليه هذه الجهمية، وما شاركت فيه الجبرية؛ بل وهناك فرق أخرى، في مثل قضية الإيمان، التي اتفقت فيها الجهمية مع غلاة المرجئة؛ فقبل بيان رأي الجهمية في الإيمان، نوضح أن قضية مفهوم الإيمان في الاصطلاح، قد اختلف فيها اختلافًا كثيرًا:

فالمشهور عن الجهمية، في تعريف الإيمان، أن الإيمان بالله تعالى، هو المعرفة فقط، والكفر هو الجهل به، ويحاول المقريزي، أن يعطينا فهمًا لرأي الجهم أدق من فهم غيره لعله أقرب للقبول؛ فيقول: "يرى الجهم: أن من عرف الله، ولم ينطق بالإيمان لم يكفر؛ لأن العلم لا يزول بالصمت، وهو مؤمن بذلك".

ومما يؤكد هذا الفهم، هذه المناظرة التي حدثت بين الجهم، وبين الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- قال الجهم: يا أبا حنيفة، أتيتك لأكلمك في أشياء هيأتها لك، فقال أبو حنيفة: الكلام معك عار، والخوض فيما أنت فيه نار تتلظى، قال: فكيف حكمت علي بما حكمت، ولم تسمع كلامي ولم تلقني؟ قال: بلغني عنك أقاويل لا يقولها أهل الصلاة -يريد أهل القبلة- قال: أفتحكم عليَّ بالغيب؟ قال: اشتهر ذلك عنك؛ فظهر عند العامة والخاصة؛ فجاز أن أحقق ذلك عليك.

فقال: يا أبا حنيفة، لا أسألك عن شيء إلا عن الإيمان؟ قال له: أولم تعرف الإيمان إلى الساعة حتى تسألَني عنه؟ قال: بلى؛ ولكن شككت في نوع منه، قال: الشك في الإيمان كفر، فقال: لا يحل لك إلا أن تبين لي من أي وجه يلحقني الكفر.

قال: سل؛ فقال: أخبرني عمن عرف الله بقلبه، وعرفه بصفاته، وأنه ليس كمثله شيء، ثم مات قبل أن يتكلم بلسانه؛ أمؤمنًا مات أم كافرًا؟ قال: كافرًا من أهل النار؛ حتى يتكلم بلسانه مع ما عرف بقلبه.

قال: وكيف لا يكون مؤمنًا، وقد عرف الله بصفاته؟ فقال أبو حنيفة: إن كنت تؤمن بالقرآن، وتجعله حجة كلمتك به، وإن كنت تؤمن به، ولا تجعله حجة كلمتك بما تخالف به من خالف ملة الإسلام، قال: أومن بالقرآن، وأجعله حجة، فقال أبو حنيفة: قد جعل الله -تبارك وتعالى- الإيمان في كتابه بجارحتين: بالقلب، واللسان؛ فقال -تبارك وتعالى-: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ } [المائدة: 83- 85].

وقال النبي : ((قولوا: "لا إله إلا الله" تفلحوا)) فلم يجعل الفلاح بالمعرفة دون القول، وقال النبي : ((يخرج من النار من قال: "لا إله إلا الله" وقد كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)) ولو كان القول لا يُحتاج إليه، ويكتفى بالمعرفة؛ لكان من رد الله بلسانه وأنكره بلسانه إذا عرفه بقلبه مؤمنًا، ولكان إبليس مؤمنًا؛ لأنه عرف ربه؛ يعرف أنه خالقه، ومميته، وباعثه، ومغويه: {ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ} [الحجر: 39]، وقال: {ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ} [الأعراف: 14]، وقال: {ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ} [ص: 76]، ولكان الكفار مؤمنين بمعرفتهم لربهم؛ إذ أنكروا بلسانهم؛ قال الله تعالى: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ} [النمل: 14]، فلم يجعلهم -مع استيقانهم بأن الله واحد- مؤمنين مع جحودهم بلسانهم.

قال : {ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔﮕ} [النحل: 83]، وقال تعالى: {ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ} [يونس: 31، 32]، فلم تنفعهم المعرفة مع كتمانهم أمرهم، وجحودهم به، فقال: قد أوقعت في خلدي شيئًا؛ سأرجع إليك.

نستنتج من هذه المناظرة، أن السلف كانوا يكفِّرون الجهم، وتشعر بأن الجهم، كان يمشي وراء فكره، وإن خالف الآراء الصحيحة كلها، وتوضح أن أبا حنيفة، كان يقول: بأن الإيمان إقرار وقول، وتشير إلى أن الجهم شك في رأيه، وحار جوابًا، لكن لم تسعفنا الروايات، هل رجع عن قوله أو لا؛ لكنها تكفي في التماس عذر له، بأن عنده شبهة وتأويلًا.

والمناظرة تشعر أيضًا، أنه لا يرى إيمان إبليس، ولا فرعون، ولا غيرهم؛ لقوله: إنه يؤمن بالقرآن ويجعله حجة، ويستحيل في حق من يؤمن بالقرآن، ويجعله حجة، أن يحكم بإيمان هؤلاء وأشباههم؛ فالأولى عدم أخذه بلازم مذهبه، والوقوف عند فهم صاحب (الخطط)، لكلام الجهم بأن المراد به: أن من عرف الله، ولم ينطق بالإيمان لم يكفر؛ لأن العلم لا يزول بالصمت، وهو مؤمن بذلك. هذا عند حسن الظن بذاك الرجل.

هذا؛ ولا نرتضي قول الجهمية، بأن الإيمان، هو المعرفة بالله فقط؛ لأن ذلك يؤدي إلى الحكم على الكفار؛ كإبليس، وفرعون، وأبي جهل -لعنهم الله تعالى- بأنهم مؤمنون، وأن فيه ظلمًا للمؤمنين؛ إذ كيف يستوي الكافر بالمؤمن؟! {ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳﯴ} [القلم:35: 36]، فنرى: أن الإيمان تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان، وأنه يزيد بالطاعات، وينقص بالعصيان.

ومما سبق يتبين لنا: أن الجهم، يقول: بأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، والكفر هو الجهل به؛ ولا شك أن هذا الرأي غير مقبول، وأنه مرفوض، ولا يتفق مع قرآن، ولا سنة، ولا إجماع أمة.

وفي الرد على الجهمية، في قضية أفعال العباد، والحكم عليها بالاختيار، أو الجبر، أو بهما معًا، أو بتغليب أحدهما على الآخر؛ تلكم القضية التي شغلت الفكر الإنساني؛ إذا نظرنا إلى أفعال العباد، وجدنا نوعين: أفعالًا اضطرارية، وأفعالًا اختيارية:

فأما الأفعال الاضطرارية: كالصحة والمرض، والطول والقصر، واللون وتقاطيع الوجه؛ فهذه لا يشك عاقل في أن الإنسان مجبر فيها، وهذا لم يختلف فيه المسلمون.

وأما الأفعال الاختيارية: كأداء العبادات، وترك المنهيات، وحسن المعاملات، وهجر قبيح العادات؛ فهذا مما وقع فيه الاختلاف.

ولقد اشتهر أن الجهم، يرى: أن العبد مجبر في جميع أفعاله، فلا يوصف بالاستطاعة أصلًا، والأرجح أنه يعطي الإنسان بعض الاختيار، ولا يقول بالجبر الغائر، يدلنا على هذا، النص الرائع الذي حفظه لنا الأشعري: لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده، وأنه هو الفاعل، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز؛ كما يقال: تحلكت الشجرة، ودار الفلك، وزالت الشمس، وإنما فعل ذلك بالشجرة، والفلك، الله ولكن الإنسان يختلف عن هذه الجمادات بعض الاختلاف.

يقول ابن صفوان: "إنه خلق للإنسان قوة كان بها الفعل، وخلق له إرادة للفعل، واختيارًا له منفردًا له؛ فالإنسان إذن ليس مجبرًا في أفعاله جبر الحيوانات، أو الجمادات الصماء؛ وإنما رزقه الله قوة بها يفعل، وبها يريد، ومنحه اختيارًا انفرد به الإنسان، دون غيره عن المخلوقات.

وهذا قريب جدًّا من القول بالكسب عند الأشعري؛ فالجهم، وإن كان من الجبرية؛ إلا أنه يعطي الإنسان بعض الاختيار.

وقد شكك بعض الباحثين، في النص السابق؛ إذ أنه رأى أن العبارة التي تقول: "إنه خلق للإنسان قوة كان بها الفعل، وخلق له إرادة للفعل، واختيارًا له منفردًا له"، ليست في النص، وإنما منسوبة إليه.

إلا أنه مما يساعد على قوة نص الأشعري، أنه أكثر المصنفين في المقالات تسامحًا مع الفرق الأخرى؛ كما أنه لم تنقل إلينا ردود قاسية على قول الجهم بالجبر، بخلاف قوله بنفي الصفات؛ فقد أعلنها السلف حربًا لا هوادة فيها على جهم وأتباعه، بسبب قوله في الصفات، بخلاف قوله بالجبر؛ إذ لو علم أنه كان يقول بالجبر الخالص: أنه ليس للمرء أدنى استطاعة، وأنه كالجمادات، والحيوانات، وأنه مظلوم وليس بيده شيء، ما تركوه.

**المراجع والمصادر:**

1. **أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، 1389هـ**
2. **عواد بن عبد الله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها ، الرياض، مكتبة الرشد، 1417هـ**
3. **الدكتور صابر بن عبد الرحمن طعيمة، دراسات في الفرق ، الرياض، مكتبة المعارف، 1408هـ**
4. **عبد القاهر بن طاهر البغدادي، الفَرْق بين الفِرَق ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المعرفة للطباعة والنشر، 1976م**
5. **محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1395هـ**
6. **علي سامي النشار، نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام ،القاهرة، دار المعارف، 1981م**
7. **عبد الرحمن عميرة، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منه ، بيروت، دار الجيل، 1405 هـ**
8. **مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب ، الدار المصرية اللبنانية، 2004م**
9. **إحسان إلهي ظهير، القاديانية دراسات وتحليل ، الرياض، طبع ونشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، 1404هـ**
10. **أحمد محمود صبحي، في علم الكلام: دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين ، مؤسسة الثقافة الجماعية، 1982م**
11. **عبد القادر بن حبيب الله السندي، التصوف في ميزان البحث والتحقيق ، المدينة المنورة، مكتبة ابن القيم، 1410هـ**
12. **محمد عبد الهادي المصري، أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى ، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1409هـ**
13. **الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف ومراجعة: مانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، 1418هـ**